العربية ورجال المهجر

كيف ينبغي أن تستفيد العروبة والإسلام من آلاف الاختصاصيين العرب في "مهاجر" أمريكا؟

الاستاذ فؤاد الشايب

مدير مكتب الجامعة العربية
بوينوس ـ ايرس

توصلنا من حضرة الاستاذ فؤاد الشايب مدير مكتب الجامعة العربية في بوينوس ايرس بامريكا الجنوبية بجواب متاخر من الاستفتاء حول علاقة الاسلام باللغة العربية وهو يلقي اضواء جديدة على المشكل من جهة خاصة تتصل برجال المهجر العرب في القارة الامريكية ونحن ننشره شاكرين :

ان مصير اللغة العربية في المهاجر يبقى ابدا في قمة المشاغل والاهتمامات التي اعانيها ويدي مغلولة الى عنقي. عسى ان يكون في اثارة المشكلة ، والتعاون في مجابهتها ما يضعنا واياكم في الطريق العلمية والعملية الصحيحة ، التي يؤلف (استفتاؤكم) مرحلة ضرورية من مراحلها الاولية .

واني اذ اشكر لكم اشراكي في الاستفتاء ، اغتنم الفرصة لادلي ببعض الراي الصريح ، الذي يتجاوز الدراسة الى حيز العمل السريع المنقذ ، في مجابهة القضية . راجيا ان يكون شفيع هذا الراي ، شعوركم معنا بان الذي يعيش مع المحنة عن كثب ، لا يستطيع ان ينظر اليها بقلبه ولسانه ، دون يده .

عسى ان يكون لكم ولنا بعض بعض اليد الصغيرة، في المرور من مرحلة التفكير الى مرحلة التدبير .

جاء الاسلام والعرب ثقافة ودولة. كانت العربية، في عصر النبي ، مهياة عبر اطوار متعاقبة من التطور والتكامل ، لان تكون لغة الدولة ، وحاملة رسالتها الثقافية .

فاذا قلنا ان اللغة العربية تعززت بالقرءان ، كان ذلك صحيحا . واذا قلنا أن الاسلام اعتز باللغة العربية ، وسال على اسلات اقلامها ، كان ذلك صحيحا ايضا . فالوحي اختار منزله الصالح في الارض ، والمنزل الصالح تسامى حتى استحق استيعاب الوحي .

ان مدى التلازم والترابط بين الاسلام واللغة مدى غير محدود . فاذا نظرنا الى كيف أصبحت اللغة العربية اداة الادب والعلم والحضارة عامة ، فيما تجاوز التخوم العربية الى بلاد فارس والروم ، وكيف اصبح لتاريخ الفكر العربي اشراق حضاري ساهم فيه مثقفو العصر ، على اختلاف اعراقهم ، ادركنا اهمية الحدث الحضاري ، في تلازم الاسلام واللغة معا في تكوينه ، دون ما تفاضل او تشاد بين سهم الدين وسهم اللغة في حركة التكوين هذه .

من حيث اللغة ، لم يكن في تاريخ العصر ، بين لغات الارض ، ما هو اكثر تفجرا واشتمالا من اللغة العربية ، ضمن حدود السلطان العربي الاسلامي وخارج حدوده ايضا . فكان لزاما على كل من يريد ان يعلم ويتعلم في هذا المدى الجغرافي الواسع ، ان تكون بين يديه كبرى ادوات العلم والتعليم : لغة العرب

من حيث الدين فقد سجل الاسلام حدثا فذا في تاريخ تفجر الحركات الانسانية على انه توحيد بين الدين والثقافة في تناسق من الاشراق الفكري والنزوع الانساني . وكان الفتح ، بخلاف الكثير من الغزوات في العالم ، ثورة ثقافية جديدة عنت لها القلوب قبل الرقاب . وبديهي ان تشرق اللغة ، في حمى الدولة ، دينها ثورة ثقافية ورسالة حضارية .

وما يقال في تلازم الاسلام واللغة العربية ، يقال في تلازمهما غروبا . لكن تلازم الغروب تدلعه صفة خاصة ، اذ ليس ضعف اللغة هو الذي ادى الى ضعف الاسلام والدولة العربية . بل بالعكس . فان تقلص ظل الدولة قد ادى الى تقلص ظل اللغة . وفي هذا التلازم الغروبي، ما يشير الى اهمية سلطان الدولة ، في اقامة كيان الثقافة والحضارة .

على انه بالرغم من اهمية عامل السلطان السياسي ، في تكوين الكيان الثقافي الحضاري ، فقد ناضل الاسلام ، واللغة ، منفردين او مجتمعين ، طوال حقبة وبدون سلطان الدولة ، نضالا جبارا ضد قوى الظلم والظلام . بما لم يتيسر ويتوافر كله ، لاي دين واية لغة في نهضات الزمن الاخير .

على انه يجب القول هنا ، انه بينما كان الدين عنصر مقاومة ، في كثير من الحالات السلبية ضد الضياع والخضوع ، كانت اللغة ، من جهتها ، عنصر هجوم في معاقل الظلم والظلام. ومع اطلالة النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، كان يشهد في سماء الشرق ان اللغة العربية غدت طليعة الاشراق العربي الجديد .

وعندما تنادى العرب الى ثورة قومية ضد الدولة العثمانية المتلبسة بالاسلام ، وانحسر قناع العداء التركي للعنصر العربي ، بحيث غدا الدين شعارا سياسيا ، وليس ايمانا ، وليس صدقا وحقا ، كانت اللغة العربية تقف على قدميها من جديد ، في دعوة الى احياء التراث الحضاري ضد مزوري هذا التراث الدائبين على طمس معالمه وجوهر فضائله . وعبر اللغة بدات حركة تلاقح فكري بين الشرق والغرب ، بالترجمة والنقل ، من اهم مظاهرها في القرن التاسع عشر ، ادب النزعات القومية . ونشات اجيال عربية جديدة في دور ثقافي ركناه : احياء التراث العربي وتاكيد الوجود القومي المشترك .

ومن اهم ملامح الدور القيادي الذي نهضت به اللغة العربية ، نثرا وشعرا في المواطن العربية نفسها، وفي المهاجر التي نزح اليها النازحون ، ان شارك المثقفون ، مسلمين ومسيحيين ، في احياء التراث العربي وفي الدعوة الى قومية عربية مستمدة من امجاد هذا التراث . ولا يجهل باحث في ادب القرن التاسع عشر وطلائع العشرين ، اسماء الاعلام العرب الذين كانوا على القيادة الفكرية في المواطن والمهاجر .

وفي المهاجر بصفة خاصة ، وباندفاقة نادرة المثال، تغنى الشعراء والمؤرخون بامجاد الامة الواحدة،

التي تحدرت دولة وكيانا من فجر الاسلام . وجرت كلمتا (الاسلام) و (العروبة) على اقلامهم ولهواتهم مترادفتين غير منفصلتين في الجوهر . وتسابقت محافل الشعر الى احياء ذكرى المولد النبوي ، في عواصم المهاجر ، ولم يخل ديوان شاعر مسيحي من قصيدة او قصائد تتغنى بمجد الرسول على انغام نهج البردة وعلى انغام واوزان سواها . وبهذا تتجلى عبقرية اللغة العربية مصعدة بالعمل الادبي ، في احياء التراث منظورا اليه في كلياته المطلقة ومعانيه الخالدة.

من هذه الزاوية ننظر الى كل دعوة تمس كيان اللغة وجوهرها ، كانها دعوة الى توهين العروبة والاسلام على السواء .

ومن هنا ننظر الى **ضعف الاسلام في نفوس** المهاجرين المسلمين الذين نزحوا الى المهاجر الامريكية، على انه ضعف في اللغة التي تمارس بها العقيدة . وان تكن ثمة اسباب اجتماعية وجيهة في تفسير تضاؤل الوعي الاسلامي ، فيجب الا ننسى ان من اخطر بواعث الوهن الديني وهن اللغة في ربط ما بين لسان المؤمن وشعوره .

وقد شهدت جمهورا مسلما في جامع مهجري ، يصغي الى واعظ خطيب يتدفق بلاغة وبيانا ، حتى انتقلت الى الجمهور حماسته كما تنتقل الكهرباء ، وراح بعضهم يبكي وينشج . فسالت بعضهم : لماذا تبكون ؟ اتفهمون كل ما قاله الواعظ ؟ قالوا اننا نبكي لاننا لا نفهم .

وجاء المترجم يلخص عظة الخطيب ويترجم بعض الآيات فتحركت الرؤوس مرتعشة ببعض المعاني . ولكن الوجوه ظلت جامدة والعيون عطشى لا يطل منها ذلك الاشراق العجيب الذي ينبعث من الاعماق ، حيث تخترق الكلمة الشغاف وتستقر في منابع الاشراق . وتوارى المترجم كانه اقترف ذنبا واحاط الجمهور بالخطيب وهم لا يعرفون العربية وهو لا يعرف الاسبانية ، وفي عيون الجميع ذلك الوله الذي يعبر عن عجز البلوغ وامتناع اللقاء .

وفي الجواب عن فقرة من سؤالكم اقول :

ليس للفكر الاسلامي عن طريق لغة القرآن ، اي تاثير في لغة الجالية الاسلامية العربية في الارجنتين ، او في لهجاتها . وعددها يكاد يبلغ الاربعمائة الف نسمة — بل اكاد اقول — دون النظر الى العدد الضئيل المحدود من المتنورين — ان ليس للثقافة الاسلامية اثر في تكوين شخصية المسلم المهجري . فلا هو يتلقى الفكر الاسلامي عن العربية ولا هو يتابعه عن الاسبانية في اقل تقدير . انه مسلم لانه لا يتنكر لمولده الديني ، ولكنه يغرق في العجمة باستمرار . وان يكن فخورا بانتسابه فلا يكفي ان يكون الفخر وحده عامل المقاومة والاستمرار .

بل لنقل العكس في تاثير اللغة الخارجية على العربي المسلم في المهاجر . ان صديقا لي يدعى حسين عباس ، هو في الهوية وفي المجتمع (خوسيه ابه) . اما (خوسيه) فهي ترجمة (حسين) . واما عباس فقد اصبح (ابه) ، كما اصبح عبد الكريم (اميركو) . وهكذا تريد الدولة ان تعطي رعاياها اسماء تنسجم مع اسمائها ، لينصهر المواطن في وطنه الجديد . وفي هذا الوطن الجديد، الوف المدارس الاجنبية للانكليز وللفرنسيين وللبرتغاليين، كجاليات، بل لليهود مئات المدارس وعشرات للارمن . وليس للجالية العربية التي تبلغ المليون نسمة في المهجر الارجنتيني ، سوى بضعة مراكز للتدريس العربي غير النظامي لا يكاد يتجاوز عددها اصابع اليد الواحدة .

ايها السادة في المكتب الدائم لتنسيق التعريب — في الرباط

انني اذ اتخطى في جوابي عن سؤالكم حدود السؤال ، الى طرح قضية ومعالجة ماساة ، فلانني اريد ان اهتبل الفرصة لاخاطبكم ليس كمكتب تعريب فحسب بل كجماعة توجيه ايضا ، لاسيما وقد تجاوزتم في سؤالكم المحيط العربي الى المجتمعات خارج الوطن العربي .

ليس شاني في هذه المجالة ، ان اعنى في كيف يصح اسلام المسلم في باكستان — وايران وتركيا والصين مثلا — بل انني لاعني حقا في كيف يصح اسلام المسلم العربي بالذات في مهاجره الاسيوية والافريقية والامريكية . والمسلم العربي ، كما ارى بوضوح ، لا يمكن ان يصح اسلامه الا بعربيته ، كما لا يمكن ان تصح عروبة اي عربي آخر الا بعربيته ايضا . ان صاحب الرسالة مسؤول ، والعربي هو وريثها الوحيد . وقد راينا كيف نهضت

اللغة العربية في بدء عصر النهضة الحديثة ، بدور الدين والدولة معا في قيادة الموكب العربي الصاعد . وليس من شك في ان هذه الظاهرة الرائعة حدث من احداث التاريخ جدير باهتمام الباحثين وعنايتهم والحاكمين المسؤولين مثلهم ايضا .

ان رقم **المليون عربي مسلما ومسيحيا ، في الارجنتين يقفز الى اربعة ملايين حتى الخمسة في دول امريكا اللاتينية** . وعندها نعود الى تاريخ هذه الهجرة العربية الضخمة ، منذ مائة عام ، نفكر في مآسيها وفواجعها . ولكن عندما ننظر اليوم الى واقع هذه الهجرة ، لا نلبث ان نحمد عواقبها من باب لا تكرهوا شيئا لعله خير لكم . افكر في الزخم الروحي والثقافي الذي اعطته هذه الهجرة لتاريخ اللغة العربية والفكر العربي في المهاجر . وافكر في هذه المعجزة التي تمت على ايدي المهاجرين الرواد ، احيوا امجاد الاندلس في الامريكات . ثم افكر في تلك الانطلاقة المستقبلية الكامنة في اعماق اربعة ملايين عربي ، عندما تستطيع ان تفجرها اللغة العربية ، والتعليم العربي ، فتردها للعروبة قوى عاملة في كتل بشرية ضخمة تعد نفسها لمستقبل عالم جديد بينما هي اليوم في واقعها قطع جليدية مبعثرة في المحيط ، آخذة يوما بعد يوم بالذوبان او بالانحدار نحو القاع .

اريد ان اتحفظ قليلا فاقول : **لولا مجهودات** مشكورة اتخذت طابعا جديا في الاعوام الاخيرة ، **لاحياء الدين الاسلامي** في قلوب المسلمين وعقولهم من جهة ، ولولا ما تثيره قضية فلسطين في نفوس هؤلاء القوم العرب او من اصل عربي ، من جهة ثانية ، لكانت الصورة اكثر ظلاما . ولكن هذا وذاك ، لا يتذرع باللغة العربية سبيلا الى احياء الدين او احياء الشعور القومي . وان تذرع فقليلا جدا . ويبدو بالاجمال ان هناك غفلة لدى قادة الراي ، عن اهمية اللغة في ربط ما بين العربي ودينه ، وربط ما بين العربي وقوميته .

مثال ذلك :

انا لا اوافق على ان احياء الدين الاسلامي لدى المهاجرين ، يمكن ان يسلك مسالك التبشير المسيحي في الاصقاع البعيدة ، حيث يتم التبشير بلغة المحيط ووفق لهجاتهم وتصوراتهم المحلية ، كان يصوروا مريم العذراء ـ مثلا ـ بصورة صينية او هندية او زنجية ، تقريبا للصورة من اذهانهم ووجدانهم . والفرق ان الاسلام مغروس في العروبة والعربية ، وبهذا يتميز كرسالة سماوية ، وانسانية ، عما سبقه من اديان .

ومثال ذلك ايضا :

في تجاربي الشخصية ودراساتي للادب المهجري في اوائل هذا القرن ، ان الادباء والشعراء المسيحيين ، الذين كانوا رواد نهضة ادبية مشهودة في الامريكات قد وصلتهم لغتهم وصلا روحيا قويا بقوميتهم وبتراثهم العربي ، الذي في قمته القرآن الكريم . وكانوا اكثر وعيا وتفهما للاسلام ، وامتزاجا به ووفاء لحقه عليهم ، ليس اكثر من العامة العربية فحسب ، بل اكثر من العامة الاسلامية نفسها . وذلك من بديهيات نفاذ اللغة الى التاريخ والتراث ، ومن وعي هذا التاريخ ، وهذا التراث الحضاري ، بلغته لا يمكن الا ان يحبه ويفي له .

ومثال ذلك ايضا :

انه قد غدا من الثابت ، في السابق واللاحق ، من دراسة ثقافات الدعاة وسير حياتهم ـ من اجانب وعرب ـ ممن دعوا الى التاليف والكتابة بالعامية ، حتى ممن دعوا الى الكتابة باللاتينية ، انهم اصحاب اغراض واهواء مشبوهة . بل خرج بعضهم من الشبهات الى الافتضاح ، وغدوا يشار اليهم بانهم يعادون العربية لانهم يريدون ان يحرروا انفسهم من تلازم الدين واللغة والعروبة ، اما لانهم يخشون العروبة ، او لانهم يخشون الاثنين معا . وليس من شك بعد في ان الدعوة الى العامية محاولة لتحطيم جوهر الوحدة ، والدعوة الى اللاتينية بحجة العالمية ، محاولة لتحطيم مجد الرمز . فاللغة العربية ، بالدولة العربية القادرة ، غدت خلال قرون طويلة لغة الشعوب في آسيا وافريقيا واوربا . وقد انتهاها العربية بين يديها ولم تهدر هي سلامتها تحت اقدام العالمية . وادبنا العربي الحديث ، قد قصر عن العالمية ليس لانه مكتوب في الحرف العربي بل لان الادب الجديد نفسه كعنصر ابداع ، لم يرق بعد الى العالمية ، وما يرقى منه حتى الآن ، موجود في مكاتب العالم مترجما مصغى اليه محتفى به . ثم لا ننسى شان الدولة في المرور الى المستويات العالمية .

ـ 2 ـ

الاستنتاج بنقاط مختصرة :

ـ المهاجرون العرب وابناء المهاجرين بحاجة ماسة وعاجلة الى تعلم اللغة العربية والتدرج في فهمها، ابتدائيا واكماليا وتثقيفيا .

ـ حتى الآن تراخت الدول العربية ، منفردة او مجتمعة ، عن تقرير خطة مدروسة وتنفيذها .

ـ اهم ما يجري من حوار حول هذا الشان قول الدول العربية انه من شان المغتربين العناية بلغتهم ، لاسيما وان كثيرين منهم اصحاب ثروات وقدرات . وقول المغتربين في الرد على هذا القول ان الدول العربية تهمل المغتربين وتدير لهم ظهورها ، وهي التي يجب ان تفتح المدارس وتنفق عليها ، كما تفعل بعض الدول الاجنبية في مساعدة جالياتها المهجرية ـ وبالفعل تفعل ـ .

ـ ان هذا الحوار سمعته منذ عشرين عاما ، ولا يزال دائرا وسيظل دائرا ، كالرحى تدور على نفسها وليس ما تطحنه .

ـ بالحق ان المغتربين اولى بالانفاق على مدارسهم . ولكن الحجر الاساسي لبدء العمل يجب ان تضعه الدولة العربية ـ اقول الدولة واعني جميع الدول ـ

ـ فالقضية ليست قضية من ينفق . بل هي الآن واليوم قضية من يبدأ . والدولة هي التي تبدأ، والاهلون سيتولون الانفاق يقينا . ولكن بعد مرور مرحلة الحجر الاساسي .

ـ ان القيادات الفكرية في واقع الجاليات الحالي ، ضعيفة ، وغالبا ما تكون مفتقدة والدولة العربية في المرحلة الاولى ، يجب ان تتولى قيادة الراي. وانا على يقين انها ما ان تضع النار في الشعلة حتى يتكامل الاشتعال بناموس حركة الشرارة .

ـ ان المدرسين يجب ان يأتوا من البلاد العربية ومعهم خبرة التدريس ومواد التدريس وبعض العون المادي لبدء التاسيس . اما اشادة البناء المدرسي فيمكن بيسر ان يتم من قبل الجاليات .

من المفيد ان تعلم الدول العربية بان حكومة الارجنتين ـ مثلا ـ تشجع تشييد المدارس النظامية التي تدرس لغة البلاد واية لغة اخرى ، ما دام البرنامج نظاميا . والمساعدة الحكومية يمكن ان تبلغ السبعين بالمئة من ثمن الارض والبناء . فما قول الاخوان في هذا ؟

ـ اقول يجب ان يأتي المدرسون من البلاد العربية حاملين علما واخلاقا وشعورا بالمسؤولية الكبرى . ليس لان المدرسين مجرد مساعدة (انفاقية) بل لانهم يتولون رسالة ويقومون بدعوة . وهنا اهمية الفكرة .

ـ بدات الجامعة العربية بتاسيس صندوق الدعوة العربية . وليس اهم ولا اجل من ان تبدا الدعوة العربية من اللغة العربية ، ويكون الانفاق على (اللغة) جزءا كبيرا من الانفاق على (الدعوة) : الدعوة للغة، الدعوة للتراث العربي ، الدعوة لفلسطين. وكيف تنفصل الدعوة لفلسطين عن الدعوة لها في الجاليات العربية التي هي في المقام الاول سلاح الدعوة ويجب ان تكون سلاحها ؟ .

ـ وفي رايي الاخير ان صندوق الدعوة العربية باشراف الجامعة العربية ، يجب ان يتكامل ويتصاعد بمساعدة الدول العربية والجماهير العربية ، وان يعلن بان تعليم ابناء المغتربين جزء من الدعوة ، وموارده ونفقاته جزء من موارد صندوق الدعوة ونفقاته .

ـ 3 ـ

قد يعترض معترض ويقول : ان الامية تسود ارجاء الوطن العربي بنسب تتراوح بين خمسين بالمئة وسبعين بالمئة . واولى بالدولة العربية ان تعنى باميتها قبل ان تعنى بمهاجريها والاعتراض مرفوض لاسباب ، اهمها :

اولا ـ ان المواطن العربي يربيه وطنه ويوجهه ويواصله روحيا باخلاقية الوسط والمجتمع ، ولا خوف عليه من الضياع . اما المهاجر العربي فهو (يتيم العرب) والمهاجرون يتامى لا صلة لهم بارضهم ووطنهم فما حكمة القول ان نتركهم يتامى .

ثانيا ـ اذا كان المواطن المقيم جزءا من بناء الوطن الداخلي، فالمواطن المغترب امتداد لكيانه المادي والثقافي معا . وهو حياة اجتماعية اخرى فيما وراء حدود الوطن . وفي ظروفنا السياسية الراهنة ، يمكن ان يكون المغترب اجدى فعالية من المقيم ، في خدمة بلاده وقضاياها الخارجية . وعلى هذا فان المغتربين ثروة بشرية وموجة حضارية من الطراز الفريد في تاريخ العرب الحديث .

ثالثا ـ ان النهضات في حياة الامم حركة شاملة ذات اجزاء متكاملة ، لا يهمل بعضها لحساب البعض الآخر، كان يعمل للسياسة دون الاقتصاد ، او للاقتصاد دون الثقافة ، او للرجل دون المرأة ، او للمواطن دون المغترب . هذا اذا وضعنا بديهية اننا امة ذات مستقبل ورسالة حضارية . واننا يجب ان نخطط لهذا المستقبل ولهذه الحضارة . واللغة تراثنا الحضاري الخالد .

قد يعترض معترض آخر ويقول : قضي الامر واندمجت الجاليات العربية في محيطاتها وابتلعتها اوطانها الجديدة التي تنتسب اليها وتندمج فيها .

والرد على الاعتراض :

اولا ـ لا يهم ان تكون الاجيال من اصل عربي قد انتسبت واندمجت . فالبلاد العربية بالواقع لا تفتش عن مزيد من عدد الرعايا ، التي لا يضير اوطانها ان تحمل في جنباتها روحانية الثقافة العربية العريقة ، بل تفتح لها صدرها اذا وجدت .

ان مجتمعات جديدة ، مثل مجتمعات امريكا اللاتينية ،تفتش عن جذور لها في الاعماق ، لانه ليس لها في تاريخها تلك الجذور . وهي برغم اتجاهاتها نحو الثقافة الاوربية بدافع السياسة احيانا ، والتقليد للغرب احيانا اخرى ، لا تجهل انها امتداد لحضارة اللغة الاسبانية التي تؤلف العربية خمسة عشر بالمائة من قاموسها الرسمي او اكثر (1) . وللاندلس الاسبانية التي عاشت في دم اهل البلاد ثمانمائة سنة ، وظلت تمتد وتنتشر بعد ذلك في العادات والتقاليد والاقوام النازحة هنا وهناك ، حتى بعد فروبها السياسي . ففي الارجنتين والبرازيل ـ مثلا ـ يرمز الى رجل (الغاوتشو) ـ رجل الصحراء ـ على انه نموذج الاصالة الوطنية، وعلى انه الدفقة العربية التي انساحت في ارجاء البلاد من الاندلس وعلى انه يمثل حقا عراقة الاصول الاولى التي انغرست في الارض قبل ان تفد اليها وفود المهاجرين من اوربا . وفي الارجنتين اليوم تيار ثقافي قوي يريد اعطاء البلاد اخلاقية عريقة ، هي اخلاقية الرجل (الغاوتشو) ساكن البلاد القديم ، رجل المروءة والحرية والفروسية ، ضد التيار الاوربي الغربي الذي هو في راي بعض الوطنيين الارجنتينيين من هذه المدرسة تزوير لشخصية الارجنتين الثقافية والاخلاقية ـ ولهذا الموضوع حديث طويل (2) .

اذن فلا الذين استوطنوا هذه المهاجر بعائدين ، ولا اوطانهم العربية بحاجة حقا الى عددهم . ان خمسة ملايين في المهاجر الامريكية كلها يمكن ان تنتجهم الامة العربية في مدى خمسة اعوام او اقل . ولكنها

---

(1) يعيش في مدينة (كوردوبا) المدينة الثقافية الجامعية الاولى في الارجنتين ، عربي سوري هو الاستاذ يوسف الغريب . وينصرف الى ترجمة الآثار العربية الى الاسبانية . وقد ترجم (كليلة ودمنة) و (عمر الخيام) ومجموعات من حكم العرب واقوالهم في كتاب (الحكمة العربية) ، كما ترجم جبران ونعيمة وشفيق المعلوف . وقضى خمسة عشر عاما في ترجمة القاموس الاسباني الرسمي الى اللغة العربية ، في اكثر من ثلاثمائة الف كلمة ، مشيرا الى الاصل العربي للكلمات الاسبانية . وهو قاموس فريد من نوعه يقع في ثلاثة اجزاء جاهزة للطبع . والاستاذ الغريب في سن السبعين ويعتبر نموذجا للرجل العربي المغترب الذي كرس نفسه لخدمة لغته وتراثه .

(2) يساعد مكتب الجامعة العربية في بوينوس ايرس احد الباحثين المؤرخين المعروفين (سيزار كيروس) في تاليف كتاب عن الجذور العربية لرجل (الغاوتشو). ومساهمة هؤلاء الصحراويين الارجنتينيين في معركة استقلال الارجنتين ، كمحاربين اشداء وفرسان مروءة ووطنية .

لا يمكن ان تؤلف هجرة جديدة ، على هذا المدى الفريد في التاريخ الحديث . لقد كانت الهجرة رمية اقدار. ومن ذكاء السياسة احيانا ان يتحالف الانسان مع اقداره . عندما يكون هذا التحالف فاعلا ايجابيا مخصبا .

ثانيا ـ من عجيب امر هذه الهجرة ، ان الابناء والاحفاد ، الذين هم ارجنتينيون بالمولد لا بالتجنس ، يستفيق جمع منهم على (شرف الانتساب) ، فاذا بهم أكثر احساسا بقضية الوطن الذي تحدر آباؤهم واجدادهم منه . ولهذه اليقظة الروحية اسباب ، اهمها : ثقافة الاجيال الجديدة من جهة ، وبراءتهم من مركب النقص والاضطهاد من جهة ثانية . وعلى النقيض كان آباؤهم واجدادهم فقراء اميين مصابين بذكرياتهم المريرة ، يشعرون بالاضطهاد، سواء في تذكر المواطن التي هجروها ، ام في المواطن التي لجأوا اليها . فهم ليسوا سوى طالبي امان ورزق ، ونسيان ايضا . ولكن يجب الا ننسى مع ذلك ، ان الدفقة المهجرية الثقافية في اواخر التاسع عشر واوائل العشرين ، مما المعنا اليه ، قد صدرت عن هؤلاء المترحلين الاميين الذين ، كما يقول بعضهم ، (علمتهم غربتهم الوطنية) ، والذين فهموا اسرار اللغة ، في المهاجر ، ودرسوا التاريخ ، واعطوا الادب العربي حياة جديدة.

ان المستيقظة مشاعرهم من الاجيال الجديدة ليسوا كثيرين بعد ولكنهم قلة تدل على وجود الينابيع في الارض العميقة .

قد يكون ارتداد بعضهم الى الينابيع نموذجا امريكيا لاتينيا شائعا في التفتيش عن اصالة ، عن عراقة ، عن جذور عميقة . ولكن من المؤكد ان الارتداد الى منابع النسب العربي ، عن طريق الدين، او عن طريق اللغة والتراث عامة ، يحمل شعورا عميقا ، غير مزيف بشهوة التفتيش عن (مظاهر) الاصالة وحدها .

حتى الارجنتيني نفسه من مدرسة (الفاوتشو) يتجاوز في نظرته الى المنابع، موضوع الدراسة التاريخية ، والبحث العلمي ، ويعتبر وجود (الفاوتشو) في الاصول مسالة ثقافية اخلاقية .

ثالثا ـ يقال ان الجاليات العربية تفسخت في المرحلة الزمنية الاخيرة ، سياسيا وقوميا ودينيا ، وغدت مجموعة من المتناقضات والاتجاهات .

وهذا صحيح . بقي ان نعرف بالتفصيل وجه هذه الصحة . ان امراضهم ليست من صنعهم بل من صنع اوطانهم . والتفسخ هو بضاعة مصدرة من المواطن الى المهاجر ثم ان هذا العالم قد تقلصت ابعاده وغدت تجري اخباره بسرعة البرق . وهؤلاء العرب يعيشون في هذا العالم وليس في الكهوف المحجوبة عن اجنحة الطيران والسنة البرق . وكثيرا ما نعجز في الاجابة عن تساؤلاتهم وحيراتهم وشكوكهم . ثم كثيرا ما نطلب اليهم ان يديروا ظهورهم لمشاكل اوطانهم . ويكون الابعدون قدوة للاقربين . ولكن كلامنا بالحق ليس سوى (موعظة حسنة) .

ومع ذلك فكثيرا ما جردوا قضية اوطانهم تجريدا ورفعوها الى مستويات العقائد والكليات وتجاوبوا مع ثورات اوطانهم في الاحزان والافراح ، والهزائم والانتصارات . وقاموا وتعدوا على آمال مشرقة وخيبات مريرة .

ومع ذلك فقد منحوا بلادهم مدرسة ادبية فريدة وفجروا في المهاجر وفي المواطن مشاعر قومية اصيلة، اقوالا واعمالا ، خلال خمسين سنة من اوائل هذا القرن . وارسلوا الى اهلهم مليارات من الاموال كانت بالواقع جزءا لا يتجزأ من الدخل القومي العام الذي ساهم في رفع مستوى المعيشة في قرى ومدن كثيرة كبيرة وصغيرة . ولم يكن شعر المهجر وحده الذي يبلغ الاوطان ويثير المشاعر والمخيلات ، بل كانت الوف الرسائل الصغيرة تصل كل عام ليقراها تحت ضوء قناديل الزيت والكاز في القرون النائية وازقة المدن الخلفية ، الوف المواطنين المتواصلين مع اهلهم برسائل الاشواق والاحزان .

لقد منحوا كثيرا ولم نمنحهم شيئا . لم ينسوا اصولهم الى الحد الذي يزعمه المتعبون ، بل نحن في المواطن قد نسيناهم. وعندما يخطر لنا ان نفكر بهم ، في شأن انشاء مدرسة عربية ، لا نزال منذ ربع قرن نتساءل كاننا اذكياء : من يبدأ؟ هم ام نحن ؟.. من يدفع ... هم ام نحن ؟

يستوي في اهمال المغتربين جميع المواطن العربية بالاضافة الى الموطنين الاساسيين : سوريا ولبنان . والا فكيف نريدهم، للغة والتراث وفلسطين، وننظر الى واجبات الدول العربية ازاءهم كوحدة ايضا لنشعرهم حقا بانهم اصحاب حقوق واصحاب تبعات معا ؟

لماذا ـ مثلا ـ لا يشترك كويتي في مساعدة مدرسة وسعودي في ترميم كنيسة ، وليبي في انشاء جامع ؟ لماذا لا يدعى كاتب سوري الى المغرب او طبيب لبناني الى اليمن ؟ ولماذا لا نستفيد من خبراتهم ونحن نركض وراء الاجانب من أصحاب الخبرات ؟ ولماذا لا نقيم لهم حلقات دراسية وبعثات جامعية .. وجولات سياحية؟ والخ الخ .

بل لماذا لا نبدأ على الفور بتخصيص جزء من دخل صندوق الدعوة العربية لتعليم اللغة العربية ونشر آدابها وتراثها ؟ ولماذا لا نضع خطة علمية مقررة على مراحل ، تشترك في تمويلها الدول والجماهير معا ، في المواطن والمهاجر ؟

ايها الاخوة في المكتب الدائم لتنسيق التعريب

ارجو معذرتي اذا استطردت من الجواب عن اسئلة استفتائكم الى الخوض في تفاصيل الوضع الاجتماعي والثقافي العربي في المهاجر. وفي رأيي ان **هذا التفصيل ملازم لجوهر القضية ، لاننا اذا طمحنا الى بعث اللغة العربية خارج حدود الوطن العربي ، وجب علينا ان نعرف ما هي الشروط الاجتماعية والثقافية الكائنة** والتي يجب ان تكون ، لتصبح مطامحنا اكثر من امنيات وابعاد من مجرد (دراسات) .

احييكم واشكركم واضع نفسي ، ما دمت في هذا المهجر ، صاحب مسؤولية ، تحت تصرفكم في كل ما يخدم الاهداف السامية التي تعملون في سبيلها .